سورة الفاتحة

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، الحمد لله علم القران ، خلق الإنسان ، علمه البيان ، الحمد لله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، جعل القرآن هداية للناس ، ونبراساً يضيء لهم الطريق ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي الأكرم ، علم القرآن فكان خير معلم ، فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد .... فأحييكن بتحية الإسلام، فالسلام عليكن ورحمة الله وبركاته، لقاءنا اليوم لتدارس سورة الفاتحة ، أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، أن يشرح صدورنا وييسر أمورنا ويحلل عقدة من لساننا يفقه قولنا.

نحن جميعاً نوظف جميع الإمكانات والوسائل لخدمة هذا الدين العظيم ، وإن من أعظم ما يُخدم به هذا الدين كلام الله عز وجل .

القرءان : كلامُ اللهِ تعالى المُنزَّل على نبيه مُحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، المُعْجِز بلفْظه ومعناه، المُتعبَّدُ بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصاحف من أَوَّلِ سورة الفاتحة إلى آخِر سورة الناس .

⇦القرآن الكريم كتاب الإسلام الخالد ، ومعجزته الكبرى ، وهداية للناس أجمعين

قال تعالى : " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ "إبراهيم (1)

⇦فالمعجزة الوحيدة الباقية من معجزات الرسول -صلَّى الله عليه وسلَّم-، القرآن الكريم، كلام الله تعالى الذي تحدَّى به أهل الفصاحة والبيان ، وهو أمر خارق للعادة، لا يمكن لبشر أن يأتيَ بمثله،

قال تعالى : {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} الإسراء (88)

⇦ولقد تعبدنا الله بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار

قال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ " فاطر29

القرآن الكريم: أساس رسالة التوحيد، والمصدر القويم للتشريع، ومنهل الحكمة والهداية، والرحمة المسداة للناس، والنور المبين للأمة، والمحجة البيضاء التي لا يزغ عنها إلا هالك

وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إنَّ هذا القرآن مأدبةُ الله فاقبلوا على مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبلُ الله المتين، والنور المبين، والشفاء الناجع، عِصْمة لمن تمسَّك به، ونجاة لمن اتَّبعه، لا يزيغ فيُستعتب، ولا يعوج فيقوَّم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخَلَقُ من كثرة الرد، اتلوه فإن الله

يأجركم على تلاوته، كل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول : آلم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف، وميم حرف" صححه الألباني في صحيح الترميذي

⇦وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بتعلمه وتعليمه ، وأخبر أن خير الناس هم آهل القران

قال صلى الله عليه وسلم (خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ) صحيح البخاري

و كذا وصى صحابته الكرام قال ابن مسعود رضي الله عنه عن القرآن :(لا تنثروه نثر الدقل، ولا تهذوه هذ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة) .

وبين أيدينا اليوم سورة عظيمة، ترسم لنا طريق الهداية وسبيل النجاة، بل تحوي مجمل مقاصد القرآن العظيمة، ومعانيه العالية، من الحكم العلمية، والأحكام العملية، سورة نقرءها ونردد ها، نحفظها ونتلوها ، صغاراً وكباراً، متعلمين وغير متعلمين .

سورة الفاتحة

◉ التعريف بالسورة ◉ :

1) سورة مكية.
2) من سور المثاني (المثاني هي السور التي آيُها أقل من مائة آية؛ لأنها تثنى؛ أي؛ تكرر أكثر مما تثنى الطوال والمئون) .
3) عدد آياتها سبعة .
4) هي السورة الأولى في ترتيب المصحف الشريف.
5) نـزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ المُدَّثِّر.
6) تبدأ السورة بأحد أساليب الثناء " الحمد لله".
◈لم يذكر اسم الجلالة فيها إلا مرة واحدة وفي الآية الأولى.
7) الجزء (1) ، الحزب (1) الربع (1).

◉ سبب تسميتها بالفاتحة ◉ : تُسَمَّى الفَاتِحَةُ لافْتِتَاحِ الكِتَابِ العَزِيزِ بِهَا وقد قيل: إنها أول سورة نزلت كاملة.

◉ وَتُسَمَّى أُمُّ الكِتَابِ◉ لأنهَا جَمَعَتْ مَقَاصِدَهُ الأَسَاسِيَّةَ.

◉ من أسمائها أَيْضَاً◉السَّبْعُ المَثَانِي ▫ وَالشَّافِيَةُ ، ▫ وَالوَافِيَةُ ، ▫ وَالكَافِيَةُ ، ▫وَالأَسَاسُ ، ▫ وَالحَمْدُ .

✉هي السَّبْعُ المَثَانِي:

قال الله تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم: (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) [الحجر:87]

قال النبي صلى الله عليه وسلم: {الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ} [الفاتحة: 2] هي السَّبْعُ المَثانِي، والقُرْآنُ العَظِيمُ الذي أُوتِيتُهُ) صحيح بخاري

⇦**سبع لأن اياتها سبع باتفاق العلماء.**

واختلف في تسميتها مثاني، قال الحافظ في الفتح:

1) فقيل لأنها تثنى في كل ركعة أي تعاد.

2) وقيل لأنها يثنى بها على الله تعالى .

3) وقيل لأنها استثنيت لهذه الأمة لم تنزل على من قبلها.

◉ فضل السورة ◉:

فَاتِحَةُ الْكِتَابِ: وَأُمُّ الْقُرْآنِ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي، هي أعظم سورة في القرآن وهي أم القرآن : عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى - رضى الله عنه -، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي المَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم - فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: " أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: 24]. ثُمَّ قَالَ لِي: "لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ". ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ، قَالَ: ﴿ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ".

وعن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما (بَيْنَمَا جِبْرِيلُ υ قَاعِدٌ عِنْدَ النبي ε سَمِعَ نَقِيضاً مِنْ فَوقِهِ، فَرَفَعَ رَأسَهُ ، فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ اليَوْمَ وَلَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إلاَّ اليَوْمَ، فنَزلَ منهُ مَلَكٌ ، فقالَ: هذا مَلَكٌ نَزلَ إلى الأرضِ لم ينْزلْ قطّ إلاّ اليومَ فسَلَّمَ وقال: أبْشِرْ بنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤتَهُمَا نَبيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الكِتَابِ، وَخَواتِيمُ سُورَةِ البَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهَا إلاَّ أُعْطِيتَه) . رواه مسلم

✉ بل هي أعظمُ ما نَزَل من الوحي مطلقًا :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه ، أَنَّ أُبيَّ بنَ كعب قرأ على رَسُول اللهِ - صلى الله عليه وسلم -، أُمَّ الْقُرْآنِ، فقَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مَثْلُهَا، إِنَّهَا السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيْتُ) صححه الألباني في صحيح الترمذي

✉يقول ابن القيم: إن الله تعالى قد أنزل 104 كتب ، جمع معانيها في ثلاثة كتب: (الزبور، التوراة ، والانجيل)، وجمع معاني هذه الكتب الثلاثة في القرآن،وجمع معاني القرآن في الفاتحة، وجمع معاني الفاتحة في "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ".

◉ مقاصد سورة الفاتحة الخمسة ◉

اشتملت سورة الفاتحة على أهم مقاصد القرآن الكريم على وجه الإجمال، ثم فصل ما أجملته في القرآن كله؛ فقد اشتملت الفاتحة على التوحيد والعبادة وطلب الهداية، والثبات على الإيمان، وفيها أخبار وقصص الأمم السابقة، وفيها معارج السعداء ومنازل الأشقياء، وقد نزل القرآن لبيان حقوق الخالق على خلقه، وحاجة الخلق إلى خالقهم، وتنظيم الصلة بين الخالق والمخلوق .

○ المقصد الأول ○:

◉ توحيد الله سبحانه :

اشتملت السورة على التعريف بالمعبود جل في علاه، على توحيد الخالق سبحانه، وتضمنت سورة الفاتحة خلاصة وجيزة لعقائد الإسلام، واجتثاث جذور الشرك التي كانت فاشية في الأمم، ومقتضى ذلك توحيد العبادة ، والتوجه بها إلى الله سبحانه، فهو جل شأنه المعبود بحق دون سواه، يرشد إلى ذلك قوله تعالى☀ {الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} .

○ المقصد الثاني ○:

◉ الإيمان باليوم الآخر :

واشتملت السورة على أهم أركان الإيمان، بعد الإيمان بالله تعالى؛ وهو إثبات المعاد والجزاء على الأعمال، والإيمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وسؤال وحشر ونشر وحساب وجنة ونار، وغير ذلك مما فصله القرآن الكريم في العديد من السور والآيات، لاسيما القرآن المكي، الذي يُعنى بغرس العقيدة في النفوس أولًا، في مثل جزأي (عم وتبارك) .

○ المقصد الثالث ○:

◉ التكاليف الشرعية :

أما جانب العبادات : مما يتعلق بالصلاة والزكاة والصيام والحج والأذان والذبح والنذر والدعاء والاستغاثة والاستعاذة والرجاء والخوف والتوكل والاستعانة وما إلى ذلك، وتوجيه هذه العبادات إلى الله تعالى وحده، وطلب الهداية، والثبات على الإيمان

فقد أشار إليه قوله تعالى :☀{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين} ، {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}

○ المقصد الرابع ○:

◉ قصص الأنبياء والمرسلين :

أما جانب النبوات والرسالات في سورة الفاتحة، وفيها معارج السعداء فيشير إليه قوله تعالى :☀{اهدِنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ }.

○ المقصد الخامس ○:

◉ أهل الكتاب :

أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين فصّل القرآن الكريم الحديث عنهم في سوره المدنية، وأوضح زيغهم وضلالهم، وأسباب غضب الله تعالى عليهم ، وفي هذا بيان منازل الأشقياء فقد أجملت سورة الفاتحة هذه المعاني في قوله تعالى :☀{ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ}.

◉ هذه السورة على إيجازها ، احتوت على ما لم تحتو عليه سورة من سور القرآن◉

فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة:

توحيد الربوبية يؤخذ من قوله: {رَبِّ الْعَالَمِينَ} .

وتوحيد الإلهية وهو إفراد الله بالعبادة، يؤخذ من لفظ: {اللَّهِ} ومن قوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}

وتوحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى، التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه، وقد دل على ذلك (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} ولفظ (الحمد)

وتضمنت إثبات النبوة في قوله: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} لأن ذلك ممتنع بدون الرسالة.

وإثبات الجزاء على الأعمال في قوله:{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} وأن الجزاء يكون بالعدل، لأن الدين معناه الجزاء بالعدل.

تضمنت {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} إثبات أن العبد فاعل حقيقة، وله مشيئة في الاختيار.

بل تضمنت الرد على جميع أهل البدع والضلال في قوله:{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}

لأنه معرفة الحق والعمل به هو طريق الإستقامة ، و كل مبتدع وضال فهو مخالف لذلك.

وتضمنت إخلاص الدين لله تعالى، عبادة واستعانة في قوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}
والتطهر من دائين عظيمين ، داء رياء والدواء إياك نعبد ، وداء الكبر والدواء إياك نستعين .

وهذه السورة لها مميزات تتميّز بها عن غيرها:

1) منها أنها ركن في الصلوات : سورة الفاتحة لها مميزات تتميز بها عن غيرها ، منها أنها ركن في الصلوات التي هي أفضل أركان الإسلام بعد الشهادتين فلا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لَا صَلَاةَ لِمَن لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ) صحيح بخاري

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ صَلَّى صَلاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ , فَهِيَ خِدَاجٌ ، هِيَ خِدَاجٌ ، هِيَ خِدَاجٌ – ثَلاثَ مَرَّاتٍ – غَيْرُ تَمَامٍ " صحيح ابي داود.

صحيح من أقوال العلماء: وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة على المنفرد والإمام والمأموم في الصلاة الجهرية والسرية؛ لصحة الأدلة الدالة على ذلك وخصوصه . فتوى اللجنة الدائمة

2) ومنها أنها رقية: إذا قرئ بهاعلى المريض شُفي بإذن الله؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم (قال للذي قرأ على اللديغ، فبرئ: "وما يدريك أنها رقية" و كان الراقي ابي سعيد الخدري

انْطَلَقَ نَفَرٌ مِن أَصْحَابِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا، حتَّى نَزَلُوا علَى حَيٍّ مِن أَحْيَاءِ العَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فأبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذلكَ الحَيِّ، فَسَعَوْا له بكُلِّ شيءٍ لا يَنْفَعُهُ شيءٌ، فَقالَ بَعْضُهُمْ: لو أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شيءٌ، فأتَوْهُمْ، فَقالوا: يا أَيُّهَا الرَّهْطُ إنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ، وَسَعَيْنَا له بكُلِّ شيءٍ لا يَنْفَعُهُ، فَهلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنكُم مِن شيءٍ؟ فَقالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ، وَاللَّهِ إنِّي لَأَرْقِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَما أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَصَالَحُوهُمْ علَى قَطِيعٍ مِنَ الغَنَمِ، فَانْطَلَقَ يَتْفِلُ عليه، وَيَقْرَأُ: الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِن عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَما به قَلَبَةٌ، قالَ: فأوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الذي صَالَحُوهُمْ عليه، فَقالَ بَعْضُهُمْ: اقْسِمُوا، فَقالَ الذي رَقَى: لا تَفْعَلُوا حتَّى نَأْتِيَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَنَذْكُرَ له الذي كَانَ، فَنَنْظُرَ ما يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا علَى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَذَكَرُوا له، فَقالَ: وَما يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ، ثُمَّ قالَ: قدْ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا، وَاضْرِبُوا لي معكُمْ سَهْمًا فَضَحِكَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ)

صحيح بخاري

3) وأنها شفاء من كل داء :

قال صلى الله عليه وسلم (في فاتحةِ الْكتابِ شفاءٌ من كلِّ داءٍ) أخرجه الدارمي والبيهقي في ((شعب الإيمان))

✉ قال المناوي : أى شفاءاً من : (داء الجهل ، والمعاصي ، والأمراض الظاهرة ، والباطنة ، وأنها كذلك لمن تدبَّـر ، وتفكَّـر ، وقـوى يقينه).

✉ قال ابن القيم في كتابه (زاد المعاد في هدى خير العباد) : كل داء له دواء ، وأنا أحسنت المداواة بالفاتحة ، فوجدت لها تأثيراً عجيباً في الشفاء ، وذلك أني مكثت بمكة مدة يعتريني أدواء لا أجد لها طبيباً ولا مداوياً ، فقلت :يا نفسي دعيني دعيني أعالج نفسي بالفاتحة ؛ ففعلت ؛ فرأيت لها تأثيراً عجيباً ، وكنت أصف ذلك لمن اشتكى ألماً شديداً ، فكان كثيراً منهم يبرأون سريعاً ببركة الفاتحة.

☜☜وقد ابتدع بعض الناس اليوم في هذه السورة بدعة، فصاروا يختمون بها الدعاء، ويبتدئون بها الخُطب ويقرؤونها عند بعض المناسبات ، وهذا غلط: تجده مثلاً إذا دعا، ثم دعا قال لمن حوله: "الفاتحة"، يعني اقرؤوا الفاتحة؛ وبعض الناس يبتدئ بها في خطبه، أو في أحواله ، وهذا أيضاً غلط؛ لأن العبادات مبناها على التوقيف، والاتِّباع . ابن عثيمين رحمه الله تعالى

هذه السورة العظيمة، حريٌّ بكل مسلم أن يعتني بفهم معانيها؛ فإذا وقف بين يديه موقف العبودية والتذلل والانكسار، ويستقبل الله عز وجل بقلبه، وقال الله أكبر ولم يكن في قلبه شيء أكبر من الله يشغله عنه ، واستحضر هذه المعاني في الصلاة ؛ فتكون صلاته صلاة خاشعة كما يحبها الله -عز وجل- ، وإذا صحّت صلاته صلحت حياته كلها ! ولذا كان لا بد من العناية بفهمها وتدبر معانيها !

⇦لماذا نبدأ دائما "بالاستعاذة وبالبسملة: وقوع الاستعاذة والبسملة لهم علاقة قوية بين بعض:

☜فالاستعاذة من أجل دفع شر الشيطان أن يقع عليك وسوسته أثناء الصلاة.

☜والبسملة من أجل أن تخرج من الشر الثاني الذي هو الاعتماد على النفس.

الاستعاذة : ألوذ بالله وأعتصم به وأستجير بجنابه من شر هذا العدو أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه.

البسملة : وأستعين بالله متبركاً باسمه تبارك وتعالى –لا بحولي ولا بقوتي– أن أفهم ويحضر قلبي حال قراءتي للفاتحة"

.أناهيد السميري

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

التفسير:

أي أبتدئ بتسمية الله وذكرهِ قبل كل شيء ، مستعيناً به جل وعلا في جميع أموري ، طالباً منه وحده العون ، فإنه الرب المعبود ذو الفضل والجود ، واسع الرحمة كثير التفضل والإحسان ، الذي وسعت رحمته كل شيء ، وعمَّ فضله جميع الأنام .

✉ يستحب للمسلم أن يبدأ قراءة القرآن بالبسملة .

أي: أبتدئ بكل اسم لله تعالى، لأن لفظ ↩{اسم} مفرد مضاف، فيعم جميع الأسماء [الحسنى] .

⇦الفائدة الأولى: التبرك بتقديم اسم الله عزّ وجل.

⇦والفائدة الثانية: مستعيناً به ومستأذن من الله للدخول على أي عمل

و{ الله }: اسم الله رب العالمين لا يسمى به غيره؛ وهو أصل الأسماء؛ ولهذا تأتي الأسماء تابعة له

⇦قال في عمدة التفسير : (الله العلم على الرب تبارك وتعالى ، ويقال إنه الاسم الأعظم ، لأنه يوصف بجميع الصفات كما قال تعالى ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (22) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (24)﴾ الحشر فأجرى الأسماء الباقية كلها صفات له.

وقال ε (إن لله تسعةً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة) متفق عليه .

ولذلك تقول : الرحمن من أسماء الله ، ولا تقول الله من أسماء الرحمن .

{اللَّهِ} : أي : المألوه المعبود ، المستحق لإفراده بالعبادة ، الذي تعبده الخلائق ، وتتأله له محبة وتعظيماً وخضوعاً له ، وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب ، لما له من صفات الألوهية ، وهي صفات الكمال .

⇦ **لفظاً** : أي أن هذا اللفظ لا يصح أن يسمى به أحد .

⇦**ومعنى** : أي أن الصفة التي تضمنها هذا الاسم وهي الإلهية لا يصلح شيء منها للمخلوق .

قال بعض العلماء : إنه الاسم الأعظم وهو قول قوي وله أدلة .

⇦ لأنه يوصف بجميع الصفات ، هذا دليل نظري على أن لفظ الجلالة (الله) هو الاسم الأعظم ، أي أن هذه الأسماء جميعاً ترجع إليه لفظاً ومعنى .

معنى ترجع إليه لفظاً: أي أن أسماء الله تأتي بعده ولا يأتي بعد شيء منها كما سبق في الآيات الحديث.

ومعنى ترجع إليه معنىً: أي أن هذا الاسم يتضمن صفة الإلهية وهي أوسع الصفات ، وهذه الصفة ترجع إليها جميع الصفات.

ولأنه الاسم الذي تكرر في الأحاديث الواردة ومنها : أن رجلاً قال (اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال ε : لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى) رواه أبو داود .

وكحديث أنس قال (كنت جالساً مع النبي ε في المسجد ورجل يصلي فقال : اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ بأنَّ لَكَ الحمدُ لا إلَهَ إلَّا أنتَ المنَّانُ بديعُ السَّمواتِ والأرضِ يا ذا الجلالِ والإكرامِ يا حيُّ يا قيُّومُ فقالَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ لقد دعا اللَّهَ باسمِهِ العظيمِ الَّذي إذا دعيَ بِهِ أجابَ وإذا سئلَ بِهِ أعطى) صحيح أبي داود .

و{ الرحمن }: أي ذو الرحمة الواسعة فهنا رحمة هي صفته سبحانه .

⇦(الرحمن) مختص بالله لا يسمى به غيره ولا يعرف أحد تسمى به ، قال ابن كثير : ولما تجهرم مسيلمة الكذاب وتسمى برحمن اليمامة كساه الله جلباب الكذب وشهر به فلا يقال إلا مسيلمة الكذاب فصار يضرب به المثل في الكذب .

و{ الرحيم }: أي الموصل للرحمة من يشاء من عباده.

⇦**والفرق بين الرحمن والله** : الله مختص بالله لفظاً ومعنى، وأما الرحمن مختص بالله لفظاً لا معنى، فإن المخلوق يوصف بالرحمة.

وقفة ✉ إن معرفة اسماء الله تعالى وصفاته تلم شعث القلب ، وتفتح للعبد آفاق واسعة لتلذذ بالطاعة والعبادة ، وترفع حجب الغفلة والشك والاعراض ، فمن كان بالله اعرف كان منه اخوف ، وبحبه اقرب وعن معصيته ابعد ، وفي رجاء رحمته اطلب.

✉ الرحيم الرحمن رحمة تملأ الفؤاد والجنان ، رحمة ننعم بها في هذه الدنيا ، ويوم نلقى ربنا الرحمن، اسم ربنا الرحمن من الاسماء الكريمة الوارد ذكرها في كتاب الله الكريم كثيرا، بلغ نحو من سبع وخمسين مرة ، ولا نزال نقرأها في كل صلاة ، بل في كل ركعة منها ، وقبل أي سورة ، وقبل أي عمل ، هذا الاسم العظيم يملأ القلب سكينة وحبا وتودد الى رب سمى نفسه الرحمن ووصف نفسه بالرحمة ، والرحمة في اللغة هي الرقة ، هي الشفقة ،هي العطف ،هي الحنان ، ما اجمل ان يكون للعبد رب وصف نفسه بالرحمة ، لتحوي قلوب تذللت له عبودية وخضوعا وبحثا عن رحمته سبحانه وتعالى.

مسألة: هل البسملة آية من الفاتحة؛ أو لا؟ أجاب الشيخ ابن عثيمين رحمه الله

قال في هذا خلاف بين العلماء:

فمنهم من يقول: إنها آية من الفاتحة، ويقرأ بها جهراً في الصلاة الجهرية، ويرى أنها لا تصح إلا بقراءة البسملة؛ لأنها من الفاتحة

ومنهم من يقول: إنها ليست من الفاتحة؛ ولكنها آية مستقلة من كتاب الله؛ وهذا القول هو الحق؛ ودليل هذا: النص، وسياق السورة.

أما النص: فقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله تعالى: قسمت الصلاة (لأنها لا تصح إلا بها) بيني وبين عبدي نصفين: إذا قال: { الحمد لله رب العالمين } قال الله تعالى: حمدني عبدي؛ وإذا قال: { الرحمن الرحيم } قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي؛ وإذا قال: { مالك يوم الدين } قال الله تعالى: مجّدني عبدي؛ وإذا قال: { إياك نعبد وإياك نستعين } قال الله تعالى: هذا بيني وبين عبدي نصفين؛ وإذا قال: { اهدنا الصراط المستقيم }... إلخ، قال الله تعالى: هذا لعبدي؛ ولعبدي ما سأل"(51) ؛ وهذا كالنص على أن البسملة ليست من الفاتحة

وفي الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "صلَّيت خلف النبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، وعمر؛ فكانوا لا يذكرون { بسم الله الرحمن الرحيم } في أول قراءة،ولا في آخرها" : والمراد لا يجهرون؛ والتمييز بينها وبين الفاتحة في الجهر وعدمه يدل على أنها ليست منها.

أما من جهة السياق من حيث المعنى: فالفاتحة سبع آيات بالاتفاق؛ وإذا أردت أن توزع سبع الآيات على موضوع السورة وجدت أن نصفها هو قوله تعالى: { إياك نعبد وإياك نستعين } وهي الآية التي قال الله فيها: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين"؛

لأن { الحمد لله رب العالمين }: الأولى؛ { الرحمن الرحيم }: الثانية؛ { مالك يوم الدين }: الثالثة؛ وكلها حق لله عزّ وجلّ { إياك نعبد وإياك نستعين }: الرابعة . يعني الوسَط؛ وهي قسمان: قسم منها حق لله؛ وقسم حق للعبد؛ { اهدنا الصراط المستقيم } للعبد؛ { صراط الذين أنعمت عليهم } للعبد؛ { غير المغضوب عليهم ولا الضالين } للعبد..

📖فتكون ثلاث آيات لله عزّ وجل وهي الثلاث الأولى؛ وثلاث آيات للعبد ، وهي الثلاث الأخيرة؛ وواحدة بين العبد وربّه ، وهي الرابعة الوسطى.

فالصواب الذي لا شك فيه أن البسملة ليست من الفاتحة ، كما أن البسملة ليست من بقية السور.

➤➤➤➤➤➤➤➤➤

(هدف السورة تحقيق العبودية لله)

➤➤ولتحيق كمال العبودية لله يجب التعرف على الله من خلال (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين).

توحيد المعرفة والإثبات (توحيد الربوبية والأسماء وصفات).

➤➤والاعتراف الكامل أن قلبك وعملك لله وحده عزوجل (إياك نعبد وإياك نستعين).

توحيد القصد والطلب (توحيد الألوهية).

➤يقول ابن القيم: لكل آية من آيات الفاتحة عبودية وذوق ووجد يخصها.

⇦فنجتهد في تذوق معاني الآيات لما لها من آثر كبير على الخشوع في الصلاة .

(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

{ الحمد } ثناء من الله على نفسه سبحانه وتعالى ، وهذا يتضمن أمر لعباده بحمده ، وقد أمر بذلك ، فقال تعالى مخاطباً لنبيه خطاباً يدخل فيه جميع أمته (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها) . وقال تعالى (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) .

الحمد وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم .

الحمد لله : الألف واللام للاستغراق فجميع المحامد كلها لله ، ومن أسمائه الحميد ، قال ابن القيم :

وهو الحميدُ فكل حمدٍ واقع أو كان مفروضاً مدى الأزمان

ملأ الوجودَ جميعَه ونظيرَه من غير ما عدٍّ ولا حُسْبان

هو أهله سبحانَه وبحمده كل المحامد وصف ذي الإحسان

والله عز وجل يحمد على كمال صفاته :

كقوله تعالى (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً) .

والله يحمد على كمال إنعامه :

كقوله ε (إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، أو يشربَ الشربة فيحمده عليها) رواه مسلم .

فالحمد لله : هو الثناء على الله ، الكامل في ذاته، وصفاته، وأفعاله؛ فله المحامد كلها والتعظيم والإجلال والحب.

إثبات الحمد الكامل لله عز وجل مأخوذ من "أل" في قوله تعالى { الحمد } لأنها دالة على الاستغراق: أي استغراق جميع المحامد..

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَه) مسلم

أحب الله المدح والثناء الحسن فمدح نفسه وأمر عباده بمدحه والثناء عليه لأنه أهل ذلك ، فأحب من عباده أن يصفوه بما هو أهله .

كأنه سبحانه يقول: يا عبادي إن كنتم تحمدون وتعظمون للكمال الذاتي والصفاتي فاحمدوني فإني أنا «الله»، وإن كان للإحسان والتربية والإنعام فإني أنا «رب العالمين»، وإن كان للرجاء والطمع في المستقبل فإني أنا «الرحمن الرحيم»، وإن كان للخوف فإني أنا «مالك يوم الدين».الألوسي

إذن الحمد هو الثناء على الله بكمال صفاته ، وجميل إنعامه وأفعاله الدائرة بين العدل والفضل

فإن أعطى بفضله ، وإن أمسك بعدله ، أقداره التي ينزلها على عباده ، قرينها العلم والحكمة ،فكل ما ينزل على عباده ، رحمة وحكمة ، والشر ليس إليه سبحانه .

يقول ابن القيم: تجد تحت هذه الكلمة (الحمد لله) إثبات كل كمال للرب تعالى فعلاً ووصفًا واسمًا, وتنزيهه عن كل سوء وعيب فعلاً ووصفًا واسمًا, فهو محمود في أفعاله وأوصافه وأسمائه, منزه عن العيوب والنقائص في أفعاله وأوصافه وأسمائه، فأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل لا تخرج عن ذلك، وأوصافه كلها أوصاف كمال ونعوت جلال ، وأسماؤه كلها حسنى، وحمده قد ملأ الدنيا والآخرة والسماوات والأرض وما بينهما وما فيهما فالكون كله ناطق بحمده.

قال ابن القيم:ومن أعظم نعمه علينا وما استوجب حمد عباده له ، أن يجعلنا عبيداً له خاصة ولم يجعلنا ربنا منقسمين بين شركاء متشاكسين ، ولم يجعلنا عبيداً لإله نحتته الأفكار ، لا يسمع أصواتنا ولا يبصر أفعالنا ولا يعلم أحوالنا ولا يملك لعابديه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، ولا تكلم قط ولا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى .

فالعبد كلما قال بلسانه : الحمد لله ، تحرك قلبه محبةً وتعظيمًا لله –عز وجل– ، أما لو قال العبد : الحمد لله، وكان قلبه خاليًا من هذه المشاعر؛ فإن هذا القول لن يزيد في إيمانه شيئا .

قال أهل العلم: "لأن مجرد وصفه بالكمال بدون محبة، ولا تعظيم: لا يسمى حمداً؛ وإنما يسمى مدحاً"؛ ولهذا يقع من إنسان لا يحب الممدوح؛ لكنه يريد أن ينال منه شيئاً؛ تجد بعض الشعراء يقف أمام الأمراء، ثم يأتي لهم بأوصاف عظيمة لا محبة فيهم؛ ولكن محبة في المال الذي يعطونه، أو خوفاً منهم ؛ولكن حمدنا لربنا عزّ وجلّ حمدَ محبةٍ، وتعظيمٍ ؛ فلذلك صار لا بد من القيد في الحمد أنه وصف المحمود بالكمال مع المحبة، والتعظيم.

قال سليمان الأشقر : الفرق بين الحمد والشكر وهذا مهم لمن يقول داخل الصلاة(ربنا ولك الحمد والشكر وهذه الزيادة غير ثابته والواجب الالتزام بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)

إن الحمد يكون باللسان فقط ويكون لكمال المحمود ولو في غير مقابل نعمة.

أما الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح ولا يكون الامقابل نعمة.

وقوله تعالى: { لله } : اللام للاختصاص، والاستحقاق؛(فلا يستحق كمال الثناء المقترن بالمحبة والتعظيم إلا الله) .

وقال ابن القيم : فالعبد ولو استنفد أنفاسه كلها في حمده على نعمة من نعمه كان ما يجب له من الحمد ويستحق فوق ذلك وأضعاف، ولا يُحصي أحد البتة ثناء عليه بمحامده.

ومن عبودية العبد شهود العبد لعجزه عن الحمد وأن ما قام به منه، فالرب سبحانه هو المحمود عليه إذ هو مجريه على لسانه وقلبه.

و "الله" اسم ربنا عزّ وجلّ؛ لا يسمى به غيره؛ ومعناه: المألوه ، أي المعبود حباً، وتعظيماً..

اسم الله مأخوذ من الإله ، والإله أصله في اللغة : مأخوذ من الوله ، والوله : هو غاية المحبة مع غاية التعظيم ، فالعبد حينما يقول :(الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين (ابن عباس) ، يعني بذلك : الذي يستحق كمال المحبة وكمال التعظيم .

و الفرق بين الله والإله:

الفرق بين الله والإله أن الأول : اسم علم للذات المقدسة ذات البارى جل وعلا، ومعناه المعبود بحق، والثاني معناه المعبود بحق أو باطل، فهو اسم يطلق على الله تعالى وعلى غيره، بخلاف :(الله) فإنه المعبود بحق.

⇦**قال ابن تيمية :** والحمد نوعان ، حمد على إحسانه إلى عباده وهو من الشكر ، وحمد لما يستحقه بنفسه من نعوت كماله ، وهذا الحمد لا يكون إلا لمن هو في نفسه مستحق للحمد .

⇦**قال ابن عطية :** الحمد معناه الثناء الكامل ، وهو أعـــم من الشكر ، لأن الشكر إنما يكون على فعل جميل يسدي إلى الشاكر ، والحمد المجرد هو ثناء بصفات المحمود من غير أن يسدي شيئاً .

ومما يحمد الله عليه :

خلق السماوات والأرض .

قال تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ) الأنعام

وعلى دخول الجنة .

قال تعالى (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) (74) الزمر

قال تعالى (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (35) ﴾ فاطر

قال تعالى (وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(10) يونس

وعلى صفات الكمال كالوحدانية وغيرها .

قال تعالى (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً)الاسراء .

إنزال الكتاب .

قال تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا) **1**الكهف .

وعلى ماله في السماوات والأرض .

وقال تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) سبأ .

قال بعض العلماء إن هذه الكلمة (الحمد لله) كلمة كل شاكر ويدل لذلك :

⇦ **أول من قالها آدم عليه السلام حين عطس** (لمَّا خلقَ اللَّهُ آدمَ ونفخَ فيهِ الرُّوحَ عَطسَ فقالَ: الحمدُ للَّهِ، فحمِدَ اللَّهَ بإذنِه)

⇦**وقالها نوح عليه السلام** (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (28) المؤمنون .

⇦**وقالها إبراهيم عليه السلام** (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ) 39إبراهيم .

⇦**وقالها داود وسليمان عليهما السلام** (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (15) النمل .

⇦**وقالها أهل الجنة** (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) الأعراف .

ما معنى سمع الله لمن حمده ؟

(سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ)): سمِع بمعنى: أجاب؛ أي: أجاب الله لمن حمِده، والإجابة تقتضي الإثابة، فكان من ثمرة من حمد الله تعالى أن يستجيب له ويُثيبه، ((لمن حمِدَه))؛ أي: لمن وصفه بصفات الكمال حبًّا وتعظيمًا.

عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ ، قَالَ : (كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ: (سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ)، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: (مَنِ المتَكَلِّمُ ؟) ، قَالَ: أَنَا، قَالَ: (رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلاَثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ) رواه البخاري

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى.

وقوله تعالى: { رب العالمين }

"الرب" : الرب هو المالك المتصرف المعبود المدبر لشؤون خلقه المربي لهم بالنعم الظاهرة والباطنة .

هو من اجتمع فيه ثلاثة أوصاف: الخلق، والملك، والتدبير؛ فهو الخالق المالك لكل شيء المدبر لجميع الأمور.

قال ابن القيم لقوله: {رَبِّ الْعَالَمِينَ} من العبودية شهود تفرده سبحانه بالربوبية، وأنه كما أنه رب العالمين وخالقهم ورازقهم ومدبر أمورهم وموجدهم ومفنيهم فهو وحده إلههم ومعبودهم وملجأهم ومفزعهم عند النوائب فلا رب غيره، ولا إله سواه.

و{ العالمين }: قال العلماء: كل ما سوى الله فهو من العالَم؛ وُصفوا بذلك؛ لأنهم عَلَم على خالقهم سبحانه وتعالى؛ ففي كل شيء من المخلوقات آية تدل على الخالق: على قدرته، وحكمته، ورحمته، وعزته، وغير ذلك من معاني ربوبيته.

قال الشاعر :

فوا عجباً كيف يُعصى الإلهُ أم كيف يجحده الجاحدُ

وفي كل شيءٍ له آيةٌ تدل على أنه واحدُ

قال تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) .

وسئل بعض الأعراب عن وجود الله فقال : إن البعر ليدل على البعير ، وإن أثر الأقدام ليدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ألا يدل على وجود اللطيف الخبير.

⇦**الرب مأخوذ من التربية ، فالرب هو الذي يربي عباده .**

لمَ يربينا الله –عز وجل– ؟

لينقلنا من حال النقص إلى حال التمام ؛ حتى نصلح لمجاورته في جنات النعيم – نسأل الله من فضله – .

ما معنى تربية الله لنا ؟

تربية الله لنا تدور حول معانٍ ، فالله –عز وجل– يربي عباده تربية إيجاد، وتربية إعداد ، وتربية إمداد (هذه الثلاث عامة يشترك فيها الجميع) ، وتربية إسعاد وهذه خاصة بأوليائه .

قال السعدي تربيته لخلقه نوعان: عامة وخاصة:

⇦فالعامة : هي خلقه للمخلوقين ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم الدنيوية.

⇦والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكملهم، ويدفع عنهم الصوارف.

✉وحقيقة التربية الخاصة : تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر، ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة.

(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

قوله تعالى: { الرحمن الرحيم }: و{ الرحمن } هو ذو الرحمة الواسعة؛ و{ الرحيم } هو ذو الرحمة الواصلة؛ فـ{ الرحمن } وصفه؛ و{ الرحيم } فعله؛ ولو أنه جيء بـ "الرحمن" وحده، أو بـ "الرحيم" وحده لشمل الوصف، والفعل؛ لكن إذا اقترنا فُسِّر { الرحمن } بالوصف؛ و{ الرحيم } بالفعل.

و{ الرحمن } هو ذو الرحمة الواسعة تسع كلَّ شيء.

و{ الرحيم } هو ذو الرحمة الواصلة تصل لكل أحد يريد الله أن يرحمه.

قال القرطبي : إنما وصف نفسه بالرحمن الرحيم بعد قوله: رب العالمين؛ ليكون من باب قرن الترغيب بعد الترهيب؛ كما قال تعالى (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ) وقوله تعالى (إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) فالرب فيه ترهيب، والرحمن الرحيم ترغيب.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (لَوْ يَعْلَمُ المُؤْمِنُ ما عِنْدَ اللهِ مِنَ العُقُوبَةِ، ما طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، ولو يَعْلَمُ الكَافِرُ ما عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، ما قَنَطَ مِن جَنَّتِهِ أَحَدٌ) .

قال ابن القيم : ثم لقوله: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} عبودية تخصها، وهي شهود عموم رحمته وسعها لكل شيء وأخذ كل موجود بنصيبه منها، ولا سيما الرحمة الخاصة التي أقامت عبده بين يديه في خدمته يناجيه بكلامه ويتملقه ويسترحمه ويسأله هدايته ورحمته وإتمام نعمته عليه، فهذا من رحمته بعبده، فرحمته وسعت كل شيء، كما أن حمده وسع كل شيء.

هناك من يقول: الله هو الرحيم ، فهل هذه البلاءات والمصائب فيها رحمة، نقول نعم باطنها رحمة والشر ليس إليه سبحانه ، ونستعين بكلام الأستاذة أناهيد لبيان كيف نرى رحمة الله في البلاء :

يوصل الكريم لنا الرحمة من مضائق المسائل، من مضائق المواقف، شيء أنت لا ترى فيه أبدًا أي آثار الرحمة، ثم يأتيك اللُّطف من داخله من مضائق المواقف، فيأتيك اللطف من داخله، رحمته تصل إلى العباد بألطف ما يكون من طريق، بل هو إنَّه سبحانه قد يُقدِّر على العبد المكاره من أجل أن يرفعهم إلى ما يحبونه.

تأمّلي الحمل والولادة ، الحياة مثل الحمل والولادة، لو أخذت الوحم منفرد مَكْرَه، لو أخذت الولادة منفردة مَكرها، لكن لو أخذت العملية كلها على بعض؛ ثم تصبح نعمة، تنسين الألم بعد ما تولدين، مباشرة تصبح فرحة، هكذا هي رحمة الله تأتيك، تَخرج من المكاره إلى الرحمة العظيمة التي تُنسي المكاره.

⇦ ما من أحد منّا إلا الله عز وجل يبتليه بما يناسبه، يبتلينا بأقدار حتى يقرّبنا منه، وهذا أعظم معاني الرحمة أن الله يبتلي العباد بأقدار تقرّبهم منه، لكن ليس كل العباد يتقربون وينتفعون ، من يقرأ الرسائل التي تصله من الله ، هو فقط من يرى رحمة الله ، في أوج البلاء .

⇦ الله عز وجل عظيم الرحمة، ذو الرحمة الواسعة، رحمته تصل لكل عبد، لكن ليس معنى رحمة الله أن يعطيك هواك، رحمة الله أن يرفعك، يُجْرِي عليك أقدار تقطع التعلقات الدنيوية ، وتطهر قلبك من الشركاء ، وتقربك من مولاك ، ترفع درجتك في الدنيا والآخرة ، ليس كل الناس يستقبلون هذه الرحمة كما ينبغي.

الفوائد:

أن ربوبية الله عزّ وجلّ مبنية على الرحمة الواسعة للخلق الواصلة؛ لأنه تعالى لما قال: { رب العالمين }
كأن سائلاً يسأل: "ما نوع هذه الربوبية؟ هل هي ربوبية أخذ، وانتقام؛ أو ربوبية رحمة، وإنعام؟" قال تعالى:
{ الرحمن الرحيم }.
1) اساس الكون قائم على الرحمة 2) رحمت الله سبقت عذابه 3) لم يبدأ بأي اسم آخر وبدء بالرحمن الرحيم حتى لايقنط العاصي من التوبة .

قال تعالى (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)

⇦والرحمة التي أثبتها الله لنفسه رحمة حقيقية دلّ عليها السمع، والعقل؛

أما السمع فهو ما جاء في الكتاب، والسنّة من إثبات الرحمة لله .

وأما العقل: فكل ما حصل من نعمة، أو اندفع من نقمة فهو من آثار رحمة الله.

⇦قال تعالى (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّيَ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49) سورة الحجر

تأملوا معي خلقنا الله للعبادة، خلق الجنة للطائعين من عباده المستقيمين على شريعته احسانا ومكافأة لهم ، وخلق النار جل جلاله عقوبة وعذابا للطغاة المتمردين من عباده على امره وشريعته، وتأتي صفة الرحمة ليصل بها الطائعون الى جنته بها ، وليستجير العصاة والعتاة من دخول ناره وعذابه ونقمته ، الرحمة صفة واسعة ،رحمة ما استأثر بها اهل الايمان ، بل يشمل الله بها خلقه جميعهم ، مؤمنهم وكافرهم ، برهم وفاجرهم ، طائعهم وعاصيهم ، نعم انها الرحمة التي وصفها الله عز وجل بالسعة فقال تعالى (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)الأعراف

(كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (54)الانعام

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتابًا قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهو مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ." صحيح بخاري

عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إِنَّ لِلَّهِ مِئَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ منها رَحْمَةً وَاحِدَةً بيْنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الوَحْشُ علَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَومَ القِيَامَةِ) صحيح مسلم

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : (قَدِمَ علَى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إذَا وجَدَتْ صَبِيًّا في السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فألْصَقَتْهُ ببَطْنِهَا وأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أتُرَوْنَ هذِه طَارِحَةً ولَدَهَا في النَّارِ قُلْنَا: لَا، وهي تَقْدِرُ علَى أنْ لا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: للَّهُ أرْحَمُ بعِبَادِهِ مِن هذِه بوَلَدِهَا) صحيح البخاري

وقد قسّم العلماء – رحمهم الله – الرحمة إلى قسمين : عامة – وخاصة .

فأما الرحمة العامة : فهي الشاملة لجميع الخلق (المؤمن والكافر والبر والفاجر) ، فكل الخلق تحت رحمة الله عز وجل ⇦ وهذه الرحمة لا أثر لها إلا في الدنيا ، ولذلك الكفار في الآخرة يعاملون بالعدل ولا يعاملون بالرحمة.

وأما الرحمة الخاصة : فهي التي تختص بالمؤمنين ⇦و الرحمة الخاصة تتصل برحمة الآخرة ، فيكون لله على المؤمنين رحمة في الدنيا ورحمة في الآخرة .

وقال أهل العلم اسم الله الرحيم : هي الرحمة الخاصة بعباده المؤمنين ، وهي الصق بهم

قال تعالى (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) 43الأحزاب

فأهل الإيمان لهم ذروة الرحمة ، وأعلاها، وأعظمها على سائر الخلق،خصهم بها لطاعتهم امره واجتنابه معاصيه،وليس العاصي والشقي والمخالف لأمر الله، وحده من يحتاج الرحمة، بل الطائع والبر ايضا فقير لله في الدنيا والآخرة ، لا غنى لنا عن رحمته طرفة عين ، برحمته نرزق ، وبرحمته يشفى مريضنا ،وبرحمته تتسع لنا الحياة ، وتفرج الهموم ، وتندفع الكربات ، وبرحمته تفتح الأبواب ، ولولا فضل الله علينا ورحمته ما عاش احد في الحياة ، ولا طاب له بها مقام .

واما الآخرة فلن يدخل أحد الجنة الا برحمته سبحانه ، قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا أنا حتى يتغمدني الله بفضل ورحمة كما قال عليه الصلاة والسلام : (لَنْ يُدْخِلَ أحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ قالوا: ولا أنْتَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: لا، ولا أنا، إلَّا أنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بفَضْلٍ ورَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وقارِبُوا، ولا يَتَمَنَّيَنَّ أحَدُكُمُ المَوْتَ: إمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أنْ يَزْدادَ خَيْرًا، وإمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أنْ يَسْتَعْتِبَ) رواه البخاري

وابواب الرحمة واسعة ، نلتمسها بذكره وطاعته سبحانه ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والاخبات له ، واعتصار القلوب ندم بين يديه، والإنابة والتوبة والاوبة.

(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)

قوله تعالى: { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } صفة لـ{ الله }؛ و{ يَوْمِ الدِّينِ } هو يوم القيامة و{ الدِّينِ } هنا بمعنى الجزاء؛ يعني أنه سبحانه وتعالى مالك لذلك اليوم الذي يجازى فيه الخلائق؛ فلا مالك غيره في ذلك اليوم.

يوم الدين : أي يوم الجزاء .

والدين في القرآن يطلق على معنيين :

الأول : بمعنى الجزاء كما في هذه الآية ، وكما قال تعالى (أَإِنَّا لَمَدِينُونَ) أي : لمجزيون ، وكما قال تعالى (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ) أي : جزاء أعمالهم ، وقال تعالى (فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) أي : غير مجزيين بأعمالكم ومحاسبين عليها ، وقال تعالى (وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) أي : إن الجزاء على الأعمال لواقع حقيقة .

والثاني : العمل ، كما في قوله تعالى (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6) وقوله (وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) .

ويقال: "كما تدين تدان"، أي كما تعمل تُجازى.

وفي قوله تعالى: { مالك } قراءة سبعية: { مَلِك}، و "الملك" أخص من "المالك"..

وفي الجمع بين القراءتين فائدة عظيمة؛ وهي أن ملكه جلّ وعلا ملك حقيقي؛ لأن مِن الخلق مَن يكون ملكاً، ولكن ليس بمالك: يسمى ملكاً اسماً وليس له من التدبير شيء؛ ومِن الناس مَن يكون مالكاً، ولا يكون ملكاً: كعامة الناس؛ ولكن الرب عزّ وجلّ مالكٌ ملِك..

فلا يكون ملكًا إلا إذا كان كامل الصفات –سبحانه وتعالى– ، كامل القدرة ، كامل التدبير ، كامل التصرف ، حينما تقرأ : (مالك يوم الدين) يجتمع في قلبك شعوران :

أولهما : قوة الاعتزاز بأنك عَبْدٌ لهذا الملك العظيم ، تشعر بعزةِ أن الله ما جعلك عبدًا للعبيد، وإنما جعلك عبدًا لملك الملوك .

ثانيهما : أن هذا الملك الذي أنت عبدٌ له ، كامل الصفات ، وحوائجك كلها في خزائنه –سبحانه وتعالى–.

قال ابن القيم :ثم يُعطي قوله: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} عبوديتها ويتأمل تضمنها لإثبات المعاد، وتفرد الرب فيه بالحكم بين خلقه، وأنه يوم يدين فيه العباد بأعمالهم في الخير والشر وذلك من تفاصيل حمده، وموجبه.

لماذا تطيع غيره ولا تطيعه ؟ لماذا تخاف غيره أشد من خيفته ؟ لماذا تعظم البشر ولا تقدر لله قدره ؟

الله عز وجل يقول ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ آل عمران: 26

والإمام ابن القيم –رحمه الله تعالى– يتكلم عن آثار صفة الملك فيقول : { الملك كل يوم هو في شأن من تدبير خلقه ، يغني فقيرًا ، ويسر عسيرًا ، ويفرج الكروب }.

كل يوم –سبحانه وتعالى– في تدبير شؤون خلقه ، فأنت حينما تعلم أن الذي يدبر شؤونك هو الملك العظيم ، كامل الصفات – سبحانه وتعالى– هل يقع في قلبك حرج مما يجريه الله –عز وجل– عليك من أقدار ؟!

ألا يكون في قلبك رضًا تام بأن الذي يدبر أمورك هو ملك الملوك الكامل الصفات ، الرحيم العليم الحكيم العزيز القدير –سبحانه وتعالى–!؟

ثم إذا طرأت لك أي حاجة أو أي شدة وكرب ومصيبة ، ماذا عليك أن تقول ؟ عليك أن تقول : يا مالك الملك فرج همي ، يا مالك الملك اقض ديني ، يا مالك الملك اشفني ؛ لأن كل أمورنا هذه بيد الملك –سبحانه وتعالى

من فوائد آية مالك يوم الدين :

1) إثبات ملك الله عزّ وجلّ، وملكوته يوم الدين؛ لأن في ذلك اليوم تتلاشى جميع الملكيات، والملوك

فإن قال قائل: أليس مالك يوم الدين، والدنيا؟ فالجواب: بلى؛ لكن ظهور ملكوته، وملكه، وسلطانه، إنما يكون في ذلك اليوم أبلغ ما يكون وأظهر ما يكون

لأن الله تعالى ينادي: { لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ } [غافر: 16] فلا يجيب أحد فيقول تعالى: { لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } [غافر: 16]

قال تعالى (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (16) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)17سورة غافر

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم (يَطْوِي اللَّهُ عزَّ وجلَّ السَّمَواتِ يَومَ القِيامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَى، ثُمَّ يقولُ: أنا المَلِكُ، أيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أيْنَ المُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ يَطْوِي الأرَضِينَ بشِمالِهِ، ثُمَّ يقولُ: أنا المَلِكُ أيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟) صحيح مسلم

2) ومن فوائد الآية: إثبات البعث، والجزاء؛ لقوله تعالى: (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ)

لن يدع المظلوم مظلومًا ، ولن يدع الظالم على ظلمه ! سيقتص من الظالم للمظلوم ! فإن كنت مظلومًا ستطمئن أن مالك يوم الدين سينصفك ، وإن كنت ظالمًا سترد المظالم إلى أهلها خوفًا أن ينتقم منك ملك الملوك –سبحانه وتعالى– .

3)ومنها: حث الإنسان على أن يعمل لذلك اليوم الذي يُدان فيه العاملون.

حكمة الله عز وجل ، حيث جعل لهذا الخلق مآلاً يُدانون فيه ، ويُجازون بأعمالهم ، لأنه لولا ذلك لكان الأمر عبثاً ، والله عز وجل منزه عن العبث (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ) وقال تعالى (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً) .

سؤال ما هي أركان العبودية ؟ المحبة والخوف والرجاء استخرجيها من سورة الفاتحة ؟

قال ابن القيم : ولما كان قوله: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} إخبارًا عن حمده تعالى قال الله: «حمدني عبدي» ولما كان قوله: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} إعادة وتكريرًا لأوصاف كماله قال: «أثنى علي عبدي» فإن الثناء إنما يكون بتكرار المحامد وتعداد أوصاف المحمود، ولما وصفه سبحانه بتفرده بـ {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} وهو الملك الحق المتضمن لظهور عدله وكبريائه وعظمته ووحدانيته وصدق رسله، سمى هذا الثناء مجدًا فقال: «مجدني عبدي» فإن التمجيد هو الثناء بصفات العظمة والجلال.

وبعدما ذكر سبحانه اتصافه بصفات الكمال والجلال والجمال (الرب – الرحمن – الرحيم – مالك يوم الدين) كانت هذه الصفات موجبة للعبد أن يعترف لله عزوجل بإستحقاقه العبودية .

يقول البيضاوي :يا من هذا شأنه تستحق أن نعبدك.

قال ابن القيم : كأنه ترقى من كمال البرهان والدليل إلى كمال الإقرار والإعتراف من رتبة الإيمان والتصديق إلى رتبة الإحسان وهو أن تعبد الله وكأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك) .

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)

قوله تعالى: { إياك نعبد }؛ { إياك }: مفعول به مقدم؛ وعامله: { نعبد }؛ وقُدِّم على عامله لإفادة الحصر؛ فمعناه: لا نعبد إلا إياك؛ وكان منفصلاً لتعذر الوصل حينئذ؛

أي : نعبدك ولا نعبد غيرك ، نحبك ولا نحب غيرك ، نعظمك ولا نعظم غيرك ! ،

قال ابن كثير : أي لا نعبد إلا إياك ، ولا نتوكل إلا عليك ، وهذا هو كمال الطاعة، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، ... فالأول تبرؤ من الشرك ، والثاني تبرؤ من الحول والقوة والتفويض إلى الله عز وجل .

قال الشيخ السعدي : أي نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة .

و{ نعبد } أي نتذلل لك أكمل ذلّ؛ ولهذا تجد المؤمنين يضعون أشرف ما في أجسامهم في موطئ الأقدام ذلاً لله عزّ وجلّ: يسجد على التراب؛ تمتلئ جبهته من التراب .

فـ "العبادة" تستلزم أن يقوم الإنسان بكل ما أُمر به، وأن يترك كل ما نُهي عنه؛ ولا يمكن أن يكون قيامه هذا بغير معونة الله؛ ولهذا قال تعالى: { وإياك نستعين } أي لا نستعين إلا إياك على العبادة، وغيرها؛

العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة

لماذا حصرنا العبادة على الله ؟ لأنه –سبحانه وتعالى– المتفرد بصفات الجلال والكمال والجمال ، والمتفرّد بالنعم الظاهرة والباطنة ،إذًا ، لا يستحق العبادة إلا الله ، وحق الله –سبحانه وتعالى– علينا عظيم !

⇦(العبادة أعلى مراتب الخضوع ولا يجوز شرعاً ولا عقلا فعلها إلا لله تعالى لأنه المستحق لذلك لكونه موليا لأعظم النعم من الحياة والوجود وتوابعهما). الألوسي

ما الفائدة قوله عز وجل (إياك نعبد) بدلاً من (أعبد) ؟ يقول ابن القيم رحمه الله الجمع دال على معان جميلة منها :

(إياك نعبد) ← الإتيان بضمير الجمع في الموضع أحسن وأفخم ، فإن المقام مقام عبودية وافتقار إلى الرب تعالى ، وإقرار بالفاقة إلى عبوديته واستعانته وهدايته، فأتى به بصيغة ضمير الجمع أي نحن معاشر عبيدك مقرون لك بالعبودية، وهذا كما يقول العبد للملك المعظم شأنه : نحن عبيدك ومماليكك وتحت طاعتك ولا نخالف أمرك ، فيكون هذا أحسن وأعظم موقعاً عند الملك من أن يقول : أنا عبدك ومملوكك .

(إياك نعبد) ← كأنك بضعفك وتقصيرك ومعصيتك تدخل مع باقي العباد الصالحين كأنك تقول أني بضعفي لا أحقق كمال العبادة.

(وإياك نستعين) ← لأننا لا نقدر على شيء ، وأنت تقدر على كل شيء.

و "الاستعانة" طلب العون؛ والله سبحانه وتعالى يجمع بين العبادة، والاستعانة، أو التوكل في مواطن عدة في القرآن الكريم؛ لأنه لا قيام بالعبادة على الوجه الأكمل إلا بمعونة الله، والتفويض إليه، والتوكل عليه.

والاستعانه تجمع أصلين: الثقة بالله والاعتماد عليه.

الاستعانة–هذه العبادة العظيمة ، كثير ما يغفل عنها المرء ؛ لأنه اغتر بعطاء الله له ! يعطيه الله – عز وجل – الحول والقوة فيظن المسكين أن الحول والقوة هذه من عند نفسه !

والحقيقة أننا فقراء إلى الله بعدد أنفاسنا ، لذلك نحن نحتاج ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، في كل خطوة نخطوها في حياتنا ، سواء في قضاء أمورنا الدينية أو أمورنا الدنيوية ، وحتى في أمور الدنيا نحتاج العون من الله – سبحانه وتعالى–.

الاستعانة معناها في الشرع : اعتماد القلب على الله في جلب المنافع الدينية و الدنيوية ، ودفع المضار الدينية والدنيوية ، مع كمال الثقة به !

عندما تستعين بالله لا تقلق ، ولا تضطرب ، ولا تخف ! استعن بالله وأنت واثق أن الله -عز وجل- سيعينك على جلب المنافع ودفع المضار .

الذي يشتكي من أي شيء: استعن بالله وسيعينك ويوفقك ويسددك ، وسيلهمك رشدك.

قال ابن تيمية : تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته ثم رأيته في (إياك نعبد وإياك نستعين).. ويقول أيضا (اياك نعبد) تدفع الرياء، (واياك نستعين) تدفع الكبرياء، فإذا عوفي من مرض الرياء ب (اياك نعبد) ومن مرض الكبر والعجب ب (اياك نستعين) ومن مرض الجهل والضلال ب (اهدنا الصراط المستقيم) عوفي من أمراضه وأسقامه وتمت عليه النعمة وكان من المنعم عليهم غير المغضوب عليهم.

الفوائد:

1) من فوائد الآية: إخلاص العبادة لله؛ لقوله تعالى: { إياك نعبد }؛ وجه الإخلاص: تقديم المعمول.. (فيها دواء من داء رياء وشرك).

2) ومنها: إخلاص الاستعانة بالله عزّ وجلّ؛ لقوله تعالى: { وإياك نستعين }، حيث قدم المفعول..(فيها دواء من داء الكبر والعجب).

فإن قال قائل: كيف يقال: إخلاص الاستعانة لله وقد جاء في قوله تعالى: {وتعاونوا على البر والتقوى} [المائدة: 2] إثبات المعونة من غير الله عزّ وجلّ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "تعين الرجل في دابته، فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة"؟

فالجواب: أن الاستعانة نوعان:

1) استعانة تفويض؛ بمعنى أنك تعتمد على الله عزّ وجلّ، وتتبرأ من حولك، وقوتك؛ وهذا خاص بالله عزّ وجلّ.

2) واستعانة بمعنى المشاركة فيما تريد أن تقوم به: فهذه جائزة إذا كان المستعان به حياً قادراً على الإعانة؛ لأنه ليس عبادة؛ ولهذا قال الله تعالى: {وتعاونوا على البر والتقوى} [المائدة: 2]

وقال ابن القيم رحمه الله: التوكل نصف الدين والنصف الثاني الإنابة فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هي العبادة.

يكون العبد محققاً للعبودية بأمرين :

⇦الأول : متابعة الرسول ε .

⇦الثاني : الإخلاص لله تبارك وتعالى .

إذن كلما كان العبد أذل لله وأعظم افتقاراً إليه وخضوعاً له : كان أقرب إليه ، وأعز له ، وأعظم لقدره ، فأسعد الخلق : أعظمهم عبودية لله .

والرسول ε قال (إنما أنا عبد) ، وقد وصفه الله في وصف العبودية في أعلى المنازل :

فقال تعالى في الإسراء (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً م...) .

وقال تعالى في مقام التحدي (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ) .

وقال تعالى في مقام الدعوة (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً) .

ووصف الله بذلك أكمل خلقه وأحبهم إليه وهم رسله وأنبياؤه عليهم الصلاة والسلام .

قال تعالى (وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) .

وقال تعالى (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ) .

وقال تعالى عن المسيح (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ) .

وقال أيضاً عن الملائكة (وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ . يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ) .

والعبادة هي الغاية المحبوبة لله تعالى والمرضية له التي خلق الخلق لها ، كما قال تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

لِيَعْبُدُونِ) ، وبها أرسل جميع الرسل كما قال تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) .

✉ وكانت وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه دعاء جامع شامل :

أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أخَذ بيدِ معاذٍ فقال: (يا معاذُ واللهِ إنِّي لأُحِبُّك) فقال معاذٌ: بأبي أنتَ وأُمِّي واللهِ إنِّي لأُحِبُّك، فقال: (يا معاذُ أوصيك ألَّا تدَعَنَّ في دبُرِ كلِّ صلاةٍ أنْ تقولَ: اللَّهمَّ أعِنِّي على ذِكرِك وشُكرِك وحُسنِ عبادتِك) صحيح ابن حبان

📄 لأن العبد عاجز عن الاستقلال بنفسه في عمل الطاعات ، و لا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله ، فمن أعانه الله فهو المعان ، ومن خذله فهو المخذول.

📒 كيف نسلك طريق العبودية الصحيح ونسلم من طريق الانحراف ؟؟

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)

قوله تعالى: { اهدنا الصراط المستقيم }: { الصراط } فيه قراءتان: بالسين: {السراط} ، وبالصاد الخالصة: { الصراط }؛

⇦ أي دلنا وأرشدنا ، ووفقنا إلى الصراط المستقيم ، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله وإلى جنته .

📒 هذا دعاء فيه بيان أعظم مطالب المؤمنين وهو سؤال الله الهداية ، أي أننا ندعوا الله أن يسلك بنا أكمل الطرق واقربها إليه وأقصرها، نسأله الطريق الموصل إلى رضاه سبحانه عز وجل .

⇦ وحاجتنا أن ندعوا بالهداية أعظم من الحاجة إلى الدعاء بالنصر والرزق؟

✉ قال شيخ الإسلام ابن تيمية : الحاجة إلى الهدى أعظم من الحاجة إلى النصر والرزق؛ بل لا نسبة بينهما؛ لأنه إذا هُدي كان من المتقين، ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾.

والمراد بـ{ الصراط } الطريق؛ والمراد بـ "الهداية" هداية الإرشاد، وهداية التوفيق؛

⇦ وفي سؤالنا لله (اهدنا) نطلب نوعي الهداية:

⇦ البيان والدلالة (هي العلم النافع) الموافق للحق ، ومن دقائق ذلك الهداية في الأمور المختلف فيها.

⇦ التوفيق والالهام (العمل الصالح) ، هي قبول القلب للحق ، وانشراحه به ، ومحبته له ، والعمل به .

📒 الهداية هي : معرفة الحق والعمل به ، فلا يكفي معرفة الحق دون العمل به ، فالكثير من الناس يعرفون الحق ولا يعملون به ، واليهود يعرفون صدق محمد ولم يتبعوه .

وقوله تعالى (والصراط المستقيم) أي الذي لا اعوجاج فيه..

وعلل ابن القيم رحمه الله في التفسير القيم : ذكر الصراط منفردا معرفا تعريفين :تعريف باللام وتعريفا بالإضافة،قال ذلك يفيد تعينه واختصاصه وأنه صراط واحد واما طرق أهل الغضب والضلال كثيرة ، فإنه سبحانه يفردها ويجمعها كقوله (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153) " الأنعام فوحد لفظ الصراط وسبيله وجمع السبل المخالفة له

الطريق الموصل إلى الله واحد : وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه لا يصل إليه أحد إلا من هذا الطريق ، ولو أن الناس سلكوا كل طريق واستفتحوا كل باب فالطرق مسدودة ومغلقة إلا بابه سبحانه .

قال ابن تيمية :أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة (اهدنا الصراط المستقيم صراط)، فإنه إذا هداه هذا الصراط أعانه على طاعته وترك معصيته ، فلم يصبه شر لا في الدنيا ولا في الآخرة .

قال ابن القيم : أفضل الدعاء على الإطلاق وأنفعه الهداية إلى صراطه المستقيم ، المتضمن كمال معرفته وتوحيده ، وعبادته بفعل ما أمر الله واجتناب ما نهى عنه ، والاستقامة عليه إلى الممات ، مع تضمنها : تزكية النفوس ، وإصلاح القلوب .

قال ابن تيمية رحمه الله : فهذا الدعاء أفضل الأدعية وأوجبها على الخلق، فإنه يجمع صلاح العبد في الدين والدنيا والآخرة.

وكان رسول الله ε يقول (اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى) رواه مسلم .

يقول الله –عز وجل– في الحديث القدسي: (يا عبادي ، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم) ، هل نستشعر أننا في ضلال لولا أن هدانا الله –عز وجل– ؟! ، لو طلبت الهداية من الله في كل خطوات حياتك ، مستشعر فقرك وذلك وحاجتك لله ؟ وعدك الله ومن أصدق من الله قيلاً سيهديك يقيناً.

سئلت عائشة أم المؤمنين بأي شيء كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل قالت كان إذا قام من الليل افتتح صلاته اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

وما هو الصراط المستقيم ؟ هو معرفة الحق والعمل به ، في كل ركعة نطلب من الله أن يرزقنا العلم النافع ، وأن يوفقنا للعمل الصالح ، فلو كنّا حاضري القلب في طلب الهداية من الله في كل ركعة نصليها كم سيحصل لنا من أنواع الهداية ؟!

قال ابن القيم: على قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم. وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذاك الصراط؛ فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالطّرف ... فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا؛ حذو القُذَّة بالقُذَّة جزاءً وفاقاً؛ ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ [النمل: ٩٠].

فمن استقام سيره على الصراط المستقيم في الدنيا ظاهرا وباطنا ، استقام مشيه على ذلك الصراط المنصوب على متن جهنم ، ومن لم يستقم سيره على الصراط المستقيم في الدنيا ، بل انحرف عنه ، إما إلى فتنة الشبهات ، أو إلى فتنة الشهوات ، كان اختطاف الكلاليب له على صراط جهنم ، بحسب اختطاف الشبهات والشهوات له على هذا الصراط المستقيم كما في الحديث وذكر عليه الصلاة والسلام عن الكلاليب في جنهم " قالَ: فإنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غيرَ أنَّه لا يَعْلَمُ ما قَدْرُ عِظَمِهَا إلَّا اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بأَعْمَالِهِمْ، " متفق عليه .

وهذه الشهوات والشبهات كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، دعاتها شياطين الإنس والجن ، هذا يدعوا إلى الربا وهذا إلى الزنا وهذا إلى إستحلال المعازف و الحرير وهكذا..

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (خطَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خطًّا بيدِه ثم قال : (هذا سبيلُ اللهِ مستقيمًا، وخطَّ خطوطًا عن يمينِه وشمالِه، ثم قال : هذه السبلُ ليس منها سبيلٌ إلا عليه شيطانٌ يدعو إليه، ثم قرأ : وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكم عَنْ سَبِيلِهِ) حديث صحيح أخرجه أحمد

وحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من كل شوكة تسقط العبد في جهنم ، بل أمر بعدم الإقتراب منها ، لان ما يسقط العبدعن صراط الدنيا ، إذا لم يتب قد يسقطه عن صراط الآخرة

ففي الحديث المرفوع عَنِ **النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ** ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ " : ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَعَلَى جَنْبَيِّ الصِّرَاطِ سُورٌ فِيهِ أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ ، وَعَلَى الأَبْوَابِ أُرَاهُ ، قَالَ : سُتُورٌ مُرْخَاةٌ ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلا تَتَعَوَّجُوا ، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ ، فَإِذَا أَرَادَ فَتْحَ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ ، قَالَ : وَيْحَكَ لا تَفْتَحْهُ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ ، فَالصِّرَاطُ الإِسْلامُ ، وَالسوران حُدُودُ اللَّهِ ، وَالأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللَّهِ ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقَ وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ. " صحيح الترغيب والترهيب

ويصف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم السائرين على الصراط فقال : وتُرْسَلُ الأمانَةُ والرَّحِمُ ((فتقومانِ جَنَبَتَي الصِّراطِ يمينًا وشمالًا، فيمرُّ أوَّلُكُم كالبرقِ))، قالَ: قُلتُ: بأبي أنتَ وأمِّي، أيُّ شيءٍ كمرِّ البرقِ؟ قالَ: ((ألم تَروا إلى البرقِ كيفَ يمرُّ ويرجعُ في طَرفةِ عينٍ؟ ثمَّ كمرِّ الرِّيحِ، ثمَّ كمرِّ الطَّيرِ، وشدِّ الرِّجالِ، تَجري بِهِم أعمالُهُم، ونبيُّكم قائمٌ على الصِّراطِ، يقولُ: ربِّ سلِّم سلِّم، حتَّى تَعجِزَ أعمالُ العبادِ، حتَّى يجيءَ الرَّجلُ فلا يَستَطيعُ السَّيرَ إلا زَحفًا، قالَ: وفي حافتَيِ الصِّراطِ كَلاليبُ مُعلَّقةٌ مَأمورةٌ بأخذِ من أُمِرَتْ بِهِ؛ فمَخدوشٌ ناجٍ، ومَكْدوسٌ في النَّارِ)) صحيح مسلم

📖يقول ابن قيّمِ الجوزية رحمه الله: "على قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذاك الصراط؛ فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالطيف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الركاب، ومنهم من يسعى سعيًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يحبو حبوًا، ومنهم المخدوش المسلَّم، ومنهم المكردس(انقبض واجتمع بعضه إلى بعض)في النار".مدارج السالكين

📖وقال القرطبي رحمه الله: "تفكَّر الآن فيما يحل بك من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقَّتَه، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثم قرَع سمعَك شهيق النار وتغيُّظُها، وقد كُلِّفت أن تمشي على الصراط، مع ضعف حالك، واضطراب قلبك، وتزلزل قدمك، وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك من المشي على بساط الأرض، فضلاً عن حدة الصراط، فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك، فأحسست بحدَّته، واضطررت إلى أن ترفع قدمك الثانية، والخلائق بين يديك يزِلُّون ويتعثرون، وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكَلاليب، وأنت تنظر إليهم كيف ينكسون إلى جهة النار رؤوسهم وتعلو أرجلهم، فيا له من منظر ما أفظعَه، ومرتقًى ما أصعبَه، ومجال ما أضيقَه، فاللهم سلِّم سلم"

📖إذن على قدر سعينا وتقربنا إلى الله في هذه الدنيا، وسرعة الإستجابة لأوامر الله ، والمسارعة في ترك ما نهى عنه الله ، سيكون سيرنا على الصراط يوم القيامة، والله المستعان، وعلى قدر محبتنا وشوقنا إلى الله وسعينا لمرضاته في هذه الدنيا بالأفعال والأقوال وما تُخفي القلوب، سيكون سعيُنا يوم القيامة على الصراط المستقيم.

📖كيف نجمع بين آيتين في كتاب الله :

قال تعالى (وإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) 52الشورى (هداية دلالة وإرشاد).

وقال تعالى (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) 56 (هداية توفيق).

من فوائد الآية:

1) إن { الصراط المستقيم } هو : الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة .

2) { اهدنا }؛ تتضمن طلب الهداية:هداية علم وإرشاد؛ وهداية توفيق وعمل.

3) ولا بد يستشعر العبد كمال الهداية لأمور الدنيا والآخرة ، في بيوتنا ومع أزوجنا وأولادنا ، في بيعنا وشرائنا وتعاملنا مع الناس وتعاملنا مع الله ، في عبوديتنا ، كل خير لنا في الدنيا والآخرة.

4) أن الصراط ينقسم إلى قسمين: مستقيم، ومعوج؛ فما كان موافقاً للحق فهو مستقيم، كما قال الله تعالى: { وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ } [الأنعام: 153] ، وكل ما وافق الدنيا والهوى والنفس والشيطان ، فهو الإعوجاج والإنحراف عن الإستقامة.

قال ابن القيم : ثم تأمل ضرورته وفاقته إلى قوله :(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)الذي مضمونه:

1) معرفة الحق.
2) وقصده وإرادته.
3) والعمل به.
4) والثبات عليه.
5) والدعوة إليه والصبر على أذى المدعو.

فباستكمال هذه المراتب الخمس تستكمل الهداية وما نقص منها نقص من هدايته.

وقوله تعالى (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ)

⇦ أي اهدنا ووفقنا للصراط المستقيم الذي هو : صراط الذين أنعمت عليهم ، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

ما فائدة إعادة لفظ الصراط مع أن السورة مختصرة وأجمع للمعاني ؟

أن هذة الآية غرضها التعريف بالصراط المستقيم وأهله فالإجابة مباشرة

صراط الذين أنعمت عليهم ←

←تعريف الصراط أنعمت عليهم ← النعمة هنا كمال الهداية بالدين الباعث علي على كمال التفضيل في الدنيا والآخرة← المؤدي لكمال الجزاء

←وقال البعض أن طريق الحق سالكوه قلة قليلون(وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) يوسف

فقد يستوحش سالكوه فذكرهم الله أن لهم رفقاء هم خير الرفقاء

قوله تعالى: { صراط الذين أنعمت عليهم } عطف بيان لقوله تعالى: { الصراط المستقيم }؛ والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في قوله تعالى: (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا) (النساء: 69).

ابن القيم حيث قال: ولما كان طالب الصراط المستقيم طالب أمر أكثر الناس عنه ناكبون ، مريداً لسلوك طريق مرافقُه في غاية القلة والعزة ، والنفوس مجبولة على وحشة التفرد ، وعلى الأنس بالرفيق ، نبه سبحانه وتعالى على الرفيق في هذه الطريق ، ليزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشة تفرده عن أهل زمانه وبني جنسه

، وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط : هم الذين أنعم الله عليهم ، فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له ، فإنهم هم الأقل قدراً وإن كانوا هم الأكثرين عدداً .

📖إذا تطلعت نفسك أن تنال هذة المنزلة الرفيعة لتكون معهم فحينها تعلوا همتك، ويكون هذا همك فأنت تسعى إلى العبودية علي أكمل وجه.

📖تخيل أنك يوم القيامة تجتاز الصراط برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ! ، ماذا نريد بعد هذا ؟!– نسأل الله من فضله–أليس هذا محفز رائع ، يدفعك إلى الثبات على الطريق وإن قل السالكين .

📖قال ابن الجوزي: وإني تدبرت أكثر أحوال الناس فرأيتهم في عقوبات لا يحسون بها، فأول عقوباتهم إعراضهم عن الحق شغلا بالخلق، ومن خفي عقوباتهم سلب حلاوة المناجاة ولذة التعبد، ولكن ثمة رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يحفظ الله بهم الأرض، بواطنهم كظواهرهم بل أحلى، وسرائرهم كعلانيتهم بل أجلى، وهممهم عند الثريا بل أعلى، إن عرفوا تنكروا، وإن رؤيت لهم كرامة أنكروا، تحبهم بقاع الأرض وتفرح بهم أفلاك السماء.

📖أنت الجماعة ، وإن كنت وحدك على الحق ، فلا يغتر العبد بكثرة الهالكين ، فهم معاقبين كما ذكر إبن القيم ، شغلهم الشاغل الدنيا والخلق ، معرضين عن الحق ، بخلاف الذين أنعم الله عليهم ، فهم مشتغلين بالحق ، معرضين الباطل ، يحفظ الله بهم الأرض.

📖تذكر قال بعض السلف :(عليك بطريق الحق ، ولا تستوحش لقلة السالكين ، وإياك وطريق الباطل ، ولا تغتر بكثرة الهالكين " ، وكلما استوحشت في تفردك فانظر إلى الرفيق السابق ، واحرص على اللحاق بهم ، وغض الطرف عمن سواهم ، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلتفت إليهم ، فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك) .

قال سبحانه أنعمت ولم يقل أنعم عليهم :

أنعمت : فيها إضافة النعمة إلى الله عزوجل وهو أعظم وأشرف وأكرم لها.

يارب ادخلني مع من شرفتهم وأكرمتهم وأنعمت عليهم بما تنعموا ؟

⇦فيها نعيم في كل شئ حتى في أمور الدنيا نعميهم مع الله فهم حين عبدوا الله وتقربوا إليه بما يحب كان لهم من النعيم ما لم يكن لأهل الدنيا وكانوا أيضا في حياتهم على أحسن وأكمل حال.

قال تعالى " من عمل صالحا من ذكر وأنثي وهو مؤمن فلنحينيه حياة طيبة ".

❁فالنعيم ليس بالأجساد النعيم بالقلوب ، وما فيها من سرور وراحة وطمانينة، من قربهم من الله .

❁وهذة إحدى الفوائد في دعاء القنوت "اللهم اهدني فيمن هديت: أي أدخلني في هذة الزمرة واجعلني رفيقا لهم ومعهم.

قوله تعالى: { غير المغضوب عليهم }: هم اليهود، وكل من علم بالحق ولم يعمل به..

قوله تعالى: { ولا الضالين }: هم النصارى قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وكل من عمل بغير الحق جاهلاً به..

وفي قوله تعالى: { عليهم } قراءتان سبعيتان: إحداهما ضم الهاء؛ والثانية كسرها

📖انقسام الناس إلى ثلاثة أقسام: قسم أنعم الله عليهم؛ وقسم مغضوب عليهم؛ وقسم ضالون

📖وأسباب الخروج عن الصراط المستقيم: إما الجهل؛ أو العناد والكبر.

🗐فانقسم الناس بحسب معرفة الحق والعمل به إلى هذه الأقسام الثلاثة :

✉فالعالم بالحق العامل به هو المنعم عليه ، وهو الذي زكى نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح ، وهو المفلح قال تعالى (قد أفلح من زكاها الشمس (٩)

✉والعالم به المتبع هواه هو المغضوب عليه ، والجاهل بالحق هو الضال ،

✉والمغضوب عليه ضال عن هداية العمل ، والضال مغضوب عليه لضلاله عن العلم الموجب للعمل ، فكل منهما ضال مغضوب عليه ، ولكن تارك العمل بالحق بعد معرفته به أولى بوصف الغضب وأحق به ، ومن هنا كان اليهود أحق به ، وهو متغلظ في حقهم ،

✉أنه يقدم الأشد، فالأشد؛ لأنه تعالى قدم المغضوب عليهم على الضالين؛ لأنهم أشد مخالفة للحق من الضالين؛ فإن المخالف عن علم يصعب رجوعه ، بخلاف المخالف عن جهل.

وقد ذم الله اليهود لأنهم لم يعملوا بعلمهم وشبههم بالحمار يحمل أسفاراً .

قال تعالى (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا)5(الجمعة)

⇦فإن كفرهم عن عناد وبغي ، فالتحذير من سبيلهم ، والبعد منها أحق وأهم بالتقديم ، وليس عقوبة من جهل كعقوبة من علم.

قال ابن القيم : المُنعم عليه قام بالهدى ودين الحق علمًا، عملاً والضال منسلخ عنه علمًا وعملاً والمغضوب عليه عارف به علمًا منسلخ منه عملاً.

قال ابن تيمية رحمه الله

فمن عرف الحق ولم يعمل به أشبه اليهود، ومن عبد الله بغير علم، بل بالغلو والشرك أشبه النصارى.

فائدة (غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

⇦تدل علي وجوب عدم ألفة اليهود والنصارى وتقليدهم في كل شئ فكيف نقف بين يدي الله كل يوم ونقرأ الفاتحة في كل صلاة (١٧) مرة وندعو الله بذلك ونحن نجري وراء تقليد اليهود والنصاري في كثير من الأشياء . د / عمر المقبل

في هذه السورة العظيمة تجد أنك طلبت من الله أنفع المطالب وهي :

⇦ طلب الهداية ، أن يهديك الله الصراط المستقيم ، وهو معرفة الحق والعمل به ، وأن يجنبك طريق المغضوب عليهم الذين علموا ولم يعملوا ، وطريق الضالين الذين رفضوا العلم كي لا يعملوا .

قال ابن القيم : ولما كان طالب الهداية إلى الصراط المستقيم أجل المطالب، ونيله أشرف المواهب ، علم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه وتمجيده ، ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم ، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم ، توسلٌ إليه بأسمائه وصفاته ، وتوسل إليه بعبوديته ، وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء " .

ثُم في آخر السورة نقول *آمين* :- معناها ? ? اللهم استجب .

قال ابن القيم رحمه الله : ثم شرع له التأمين عند هذا الدعاء تفاؤلاً بإجابته وحصوله وطابعًا عليه وتحقيقًا له، ولهذا اشتد حسد اليهود للمسلمين عليه حين سمعوهم يجهرون به في صلاتهم.

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ " .

حكم قول آمين : مستحب وليس بواجب.

فضل التأمين

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)قال :-" اذا قال أحدكم آمين وقالت الملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الآخرى غفر له ما تقدم من ذنبه " متفق عليه

⇦وأيضا اذا قال الإمام (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) (فقولوا آمين فإن من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه) بخاري ومسلم

📖على ماذا تترتب المغفرة للذنب في قول العبد آمين :

١) تأمين الإمام 2) تأمين المأمومين3) تأمين الملائكة4) موافقة التأمين.

الذي يقرأ السورة وقلبه حاضربين يدي الله ، مستحضر أن الله تلقاء وجهه، يكلمه وهوسبحانه يسمعه ويجيبه ، حمدني عبدي ، اثنى علي عبدي ، مجدني عبدي ، فيرق القلب ويشتاق الى لقاء ربه .

قال صلى الله عليه وسلم : (إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ فَلا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ) رواه مسلم

وقال آمين ؛ فإنه يقينا سيستجيب الله له ، فيملأ قلبه إيمانًا ويقينًا وعلمًا نافعًا ، ويوفقه إلى العمل الصالح ، أما من دعا وقلبه لاهٍ غافل ، فإنه لا يستجاب له ، قال النبي صلى الله عليه وسلم :(فإن الله لا يستجيب من قلب لاهٍ غافل) لابد أن يكون القلب حاضرًا حتى تتحقق للعبد الإجابة .

في الختام :

ما أكرم الله عزوجل حين وفقنا أن نقوله في كل صلاة ليحصل به كل منفعة ويندفع به كل مضرة فلهذا فرض علي العبد (١٧) مرة.

قال إبن القيم : فإذا أخذ في قراءة القرآن فقد قام في مقام مخاطبة ربه ومناجاته، فليحذر كل الحذر من التعرض لمقته وسخطه أن يناجيه ويخاطبه وهو معرض عنه ملتفت إلى غيره، فإنه يستدعي بذلك مقته ويكون بمنزلة رجل قربه ملك من ملوك الدنيا فأقامه بين يديه، فجعل يخاطبه الملك وقد ولاه قفاه أو التفت عنه بوجهه يمنة ويسرة، فما الظن بمقت الملك لهذا، فما الظن بالملك الحق المبين الذي هو رب العالمين وقيوم السماوات والأرض.

وليقف عند كل آية من الفاتحة ينتظر جواب ربه له وكأنه سمعه يقول: حمدني عبدي حين يقول: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} فإذا قال: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} وقف لحظة ينتظر قوله: «أثنى علي عبدي» فإذا قال: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} انتظر قوله: «مجدني عبدي» فإذا قال: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} انتظر قوله: «هذا بيني وبين عبدي» فإذا قال: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} إلى آخر انتظر قوله: «هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل» ابن القيم .

وهناك أسرار لتكرار سورة الفاتحة في الصلوات ، منها :أن تكرار أسماء الله وصفاته له أثر على حياتنا ؛ لأننا كلما قلنا الحمد لله ، تتحرك قلوبنا محبةً لله وتعظيمًا له –عز وجل–.

فهل نحن نستشعر حمدنا وثناءنا وتمجيدنا حين نقرأ في صلواتنا ؟! ثم هل نحن نستشعر ونستحضر جواب الله – سبحانه – لنا ؟!حمدني عبدي ، أثنى علي عبدي ، مجدني عبدي.

ومنها :كذلك الإلحاح في طلب الهداية ، (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) :(هل نعلم المراد بالصراط المستقيم الذي نسأل الله أن يهدينا إليه كل يوم وبهذا العدد) ؟ كما قال الدكتور إبراهيم الدويش

قيل: إن المراد بـ{الصّراط المسْتَقِيْم} هو دين الإسلام، كما بين الله تعالى: (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ*دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ*قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ))

ذكر الشيخ الدكتور إبراهيم الدويش أهمية طلب الهداية إلى الصراط المستقيم ثم ينبهنا إلى مسألة عظيمة ويدق جرس الإنذار لكل مسلم ويقول له:(أنت في خطر ! لماذا ؟)

لأنك إن فوّت هذا الفهم لهذه المعاني الكبيرة رغم تكرارك الكثير لطلب الهداية بلسانك وسؤالك ربك الصراط المستقيم، وكانت بقلب غافلٍ لاهٍ، فاعلم أن سبل الزيغ والانحراف المعاصر ليس لها حصر، ففتن الشبهات والشهوات تتلون وتتشكل، ولها مداخل وتلبيسات، وطرق وحيل لا يسلم منها أحد إلا بالاعتصام والإلحاح بالدعاء، دعاء كدعاء الغريق، وكما قال الحق –عز وجل–: (وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) سورة آل عمران : [101] فغاية بالأهمية لكل مسلم أن يلهج اللسان ومن قلب صادق متلهف بطلب متكرر للهداية ولزوم الصراط المستقيم)

متأمل ضرورته وفاقته إلى معرفة الحق ، وقصده وإرادته، والعمل به والثبات عليه والدعوة إليه ، والصبر على أذى المدعو ، فباستكمال هذه المراتب الخمس تستكمل الهداية وما نقص منها نقص من هدايته.ابن القيم

وبهذا تكون الصلاة قرة عيوننا ، ولذة أرواحنا ، وسكينة قلوبنا ، وزوال همومنا ، وإنشراح صدورنا ، وقائدنا إلى جنات النعيم .

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا ، اللهم اجعله شفيعاً لنا ، وشاهداً لنا لا شاهداً علينا ، اللهم ألبسنا به الحلل ، وأسكنا به الظلل ، واجعلنا به يوم القيامة من الفائزين ، وعند النعماء من الشاكرين ، وعند البلاء من الصابرين ، اللهم حبّب أبناءنا في تلاوته وحفظه والتمسك به، واجعله نوراً على درب حياتهم، برحمتك يا أرحم الراحمين ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اعداد الفقيرة لله : آمنة يغمور

اليوم الأربعاء 2020/4/1

8 شعبان 1441